

تاريخ الدول السريانية

تأليف أبي الفرج الملقب (١٠٠٠)

قدم الآب اسحق ارملة السريانية

وكان صاحب ارضروم وهر ابن عم السلطان علاء الدين وصهره قد تحول عنه واتفق مع الخوارزميين وشاركهم في القتال . فالتقى السلطان القبض عليه واستأسره . ثم سار السلطان نفسه مع الأشرف الى ارضروم وحاصرها حصاراً شديداً فاستجلفه الاهالي ان لا يقتل واليهيم المأسور لديه وسلموه المدينة . وكانت اخت صاحب ارضروم هناك وكان السلطان منذ امد طويل مفرماً بها يريد ان يتزوجها واخوها يعارضها . فتزوجها الآن وسراً بها اكثر من سروره بما احوزه من الانتصار . غير انها لما طلبت الخلاق اخيها من قيوده سخط عليها وقتلها وأغرق اخاها في البحر .

وبعد انكسار الخوارزميين سار الأشرف الى خلاط كسي يرتق فتعبها ويصلح أمرها وارسل معه السلطان الف فارس في هدايا وافرة وغاد هو الى بلده . أما جلال الدين خوارزمشاه فذهب باليه الى كوي باذربيجان وارسل تقي الدين اخا الأشرف مكبلاً هدية الى خليفة بغداد وعذا فك قيوده واعاده مكرماً الى الأشرف . ثم ارسل الأشرف سفيراً الى خوارزمشاه يقول : انك جئت فاخوت بلادنا وقتلت نبيت مع اننا لم نسيء اليك . فان كنت تروم الانتقام منا بسبب ما اخبره الحاجب علي من بلادك فان الحاجب المذكور قد قتل في الحرب رثال جزاء اعماله . والآن نسألك ان تتخلى عن البلد الذي اخذته عنوة وتتصالح معنا .

غير ان خوارزمشاه استخف به ولم يجالحه فتركه الأشرف وعاد الى بلاد ما بين النهرين . وكان الكامل في مصر . وبقي مجير الدين يعقوب اخو الأشرف مأسوراً عند خوارزمشاه .

وفي هذه السنة ارسل الاخوة الفرير الدوارية (١٦٣) والاسيائية يظالمون

صاحب حماة بالوف الدنانير المترتبة عليه بثانة جزية . فرفض طلبهم مستخفاً بهم . فاحتشد خمسمائة فارس منهم والقان وسبعمائة راجل وزحفوا ليحتلوا البلد . وبرز تقي الدين اليهم وكسرهم .

وفي السنة ١٥٤٢ لليونان (١٢٣١ م) زحف التتر يتبعون الخوارزميين فانهمز خوارزمشاه الى اطراف سوزية قادر كوه في بلد آمد وأتلفوا عساكره وفر هو الى احد جبال الصوفانيين ففتك به الاكراد دون ان يعرفوه . وذكر بعضهم ان حافظ امتعته هو الذي قتل أما خوارزمشاه فقد لبس ثياب القليل الصوفية وافلت وجعل يطوف البلاد مستتراً .

واقبلت شرذمة من التتر الى حصن زياد ووصلت الى الفرات بحدود ماطية ومرت بسهل هتريط وانهمز الاهالي الى المدن المأوية في القلاع الحريزة ولم يحدث خراب كثير . وانقلب التتر الى اذربيجان وشهرزور واحتلوا واحتلوا بلاد الكرج كذلك . فسع مظفر الدين وخاف وارسل يستنجد بالخليفة فسار اليه جمال الدين قشتمور في جيش كثيف . اما البقية الباقية من الخوارزميين وهي نحو عشرة آلاف فقد لاذوا بالسلطان علاء الدين صاحب بلاد الروم فاعطاهم بلاداً لميشتهم وظلوا خاضعين له حتى وفاته .

وفي تلك الغزوة اعترم الخان بن جنك خان ملك المغول ان يفتح بلاد الصين وهي الخطا . فسار التتر اول بدء الى مدينة خوجا بنو بقسين وهي على شط نهر قراموران وفيها عشرة آلاف مقاتل وحاصروها (٤٦٤) اربعين يوماً فنجز. اهاليها وسار بعض اقطابها يطلبون الامان من الخان . اما المحاربون فقد ركبوا السفن جميعاً وهرؤوا في النهر . واحتل الخان المدينة ولم يؤذ احدًا . ومن هناك دخلوا بلاد الخطا فجيش التون خان اعني ملك الذهب مائة الف من الشيجان وانفداهم للقاء التتر واحاطوا بهم احاطة الخاتم بالاصبع . وما ان شاهد الخان بطشهم حتى تذرع بوسيلة اخرى وهي انه أمر السخرة والرقائين ليرزوا حجير المطر فابرزوه وانجزوا اسرارهم ثلاثة ايام وثلاث ليلٍ وهبطت على الصيقتين امطار غزيرة وتلوج قاسية تبعا برد شديد في شهر تموز . وتند ذلك وثبوا كالذئاب تنهش الذئم ووقعوا بمسكر الخطا وكسروهم شر كسرة . وانهمز التون خان الى عاصمته واجتمع بنسائه واولاده واخوته واقاربه جميعاً في

بلاطه . وأمر سيده قاطبة فكروموا الخطر! اكروماً اكروماً واضرموا فيها
اليران فاحترق هو وكل ذويه. ودخلت عذرا المغول مدينة نامكينك وشبهها
ونهبوا غيرها من المدن وقتلوا خلقاً كثيراً وأسروا من البنين والبنات المستائين
بالجمال عدداً وافراً . ورجع الحان في غاية الابتهاج ووصل الى جبال قراقورم
وابتني مدينة سبها اردوباليت اعني مدينة المسكر وهي تعرف اليوم بقراقورم
واستحضر اليها صنّاعين واهالي من بلاد الخطيا والرب . وبينما كان مسروراً
بتلك الغلبة توفي فتوى اخوه الصغير وكان احب الاخوة اليه (١٦٥) فحزن عليه
حزناً شديداً وأمر ان تتولى تدبير ولايته زوجته سرقوتني باجي وهي ابنة
اخي الملك يوحنا . وكان لها اربعة بنين كبار اولهم : مونكا الذي صار فيما
بعد ملكاً . ثانيهم قوبلاي ثالثهم هولكو رابعهم اريغ بوكا . فأحسن
تربيتهم وادهشت جميع اولاد الملوك بسياستها . وماتت هيلانة الملكة بايمانها
المسيحي القويم وعنبا قال احد الشعراء .

فلو كان النساء كمثل هذه لفضلت النساء على الرجال

وتوفي كذلك توشي ابن جنكركخان الاكبر وخلف سبعة بنين كبار وهم:
تمشل . هردو . باتو . سيقان . تنكوت . بركه . بركجار . وقد انتمى الحان
ثانيهم وولاء بلاد الصقالبة الشمالية واللآن والروس والبلغار وجعل مخيمه على
شاطئ نهر ايتيل . ولما سار في طريق الشمال من بلاد الكرج الى بلاد البلغار
والسكوتيين اجبر على اهاديا بالسيف والى ممالكها . واصدر الحان امره
بان تقطع الأذن اليسرى من كل قبيل بلغاري وروسي وأحصى عددها فكان
مائتين وسبعين الف اذن . ونجّز الحان للدخول الى قسطنطينية من ناحية
بلغاريه . فبلغ ذلك ماوك الفرنج فاحتشدوا ولاقوه وكسروه وهزموه ولم
يُبد التتر يترضون لبلاد الفرنج بل ظلّوا مقيمين في سهل القوقاس .

واحب سرتق بن باتو الديانة المسيحية راعته وتعلم الكتابة والقراءة
ورقي الى الرتبة الشمسية . ومات في ذهابه لخدمة منكوخان على ما يظهر .
وفي السنة (٤٦٦) ١٥٤٣ للديوان (١٢٣٢ م) زحف التتر كذلك وغزوا
بعض الاماكن وعادوا الى بلاد العجم . وعجز السلطان علا الدين عن مناشتهم
وقرر لهم الجزية وصالحهم . ولما استراح من همهم انتزع خلاط من الاشرف

واحتل حصوناً كثيرة من ارمينية ومدينة سرمارى . وانتزع الكامل صاحب مصر مدينة آمد من صاحبها واعطاه قري لميسته .

وفي السنة ٦٣٠ للعرب (١٢٣٢ م) مات الطبيب المهذب المدعو دكوار الدمشقي . وكان في اول امره يجلس في السوق ويطلب المرضى بالاجرة . ثم خدم اجد ابنه العادل واساء كثيراً الى الاطباء اقرانه وكفهم عن الخدمة . وكان مكثراً شتأماً شراً نهماً واصابه في آخر ايامه داء عضال في لسانه الذي كان يؤذي به اقرانه وأمسى اخس لا يتكلم . وتفاقم الداء شيئاً فشيئاً حتى قتله . ولم يخلف وارثاً وكتب في وصيته ان تحول داره الى مدرسة لمن يعلم ويتعلم الطب ووضع فيه كتبه كلها . وبلغ به اللوم مبلغه حتى حتم ان يدرس فيها المسلمون وحدهم دون اليهود والنصارى . وما زال هذا القانون جارياً في دمشق حتى اليوم . وتلامذة الطب يقرأون على اليهود والنصارى خارجاً عن تلك المدرسة .

وفي رمضان ٦٣٠ للعرب (١٢٣٢ م) مات مظفر الدين كوكبيري بن زين الدين علي كوجك صاحب اربيل ونقل الى مكة ودُفن هناك . وبث اليها الخليفة جنوداً مع طاهر الدين ابي علي غارض والقائد بها . الدين بنغوش ولكن الاهالي قاوموهما فاقبل شرف الدين شراي وحاصرها (٤٦٧) واحرق باب عين كاوا ودخل المدينة ونهبها وما عم ان احتل البغداديين قلمتها وتولاها شمس الدين باتصكين وغارض الفش وتولى المدينة انسان شريف يقال له ابوالمعالي محمد بن نصر بن صلايا والمشرّف بن صدقة .

بدء مملكة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل

وفي السنة ١٥٤٤ لليونان (١٢٣٣ م) كتب الخليفة فورماناً لبدر الدين صاحب الموصل وخطب له على المنابر بالسلطنة . وكانه الفقي ناصر الدين محمود بن القاهرة بن نور الدين قد مات . وقد شكى بنو العادل من السلطان علاء الدين لانه انتزع خلاط منهم . وحشدوا حشداً كبيراً من مصر الى حلب واتفق معهم صاحب حصن زياد وصاحب ماردتن وصاحب الموصل والملك الافضل بن صلاح الدين صاحب ميساط وجهور من المديين والتغلبين . وحشد السلطان

كذلك جمهير من بروج ونيونان . نرس و سكرج رخنوارم اوى سددم على اذائة انف كدم من مشاهير الجود وزحف عام ١٥٤٥ لليونان (١٢٣٤ م) الى الملتين حيث ازمع المصريون واصحابهم ان يقيموا . وارسل هولاء الجواسيس فتحت لهم انهم عاجزون عن مبارزة السلطان فساروا الى حصن منصور واتلفوا ضواحيها جماء . ثم تفرقوا شذر مذر وعادوا الى بلدتهم .

اما السلطان فاقبل الى ملطية في جيش ضخم وعبر الفرات ووصل الى حصن زياد واحتل المدينة حالاً وغزاهها . اما صاحبها فانهمز الى القلعة في ستة آلاف من الفرسان المصريين وصلوا لينجدوه . فاقام السلطان المنجنيقات وحاصرها وضايقتهم حرباً وجوعاً وعطشاً فطلبوا الامان . اما السلطان فقد ارسل الى مصر جميع المصريين الذين كانوا مع شمس الدين (٤٦٨) صواب حاجب الكامل الكبير . وارسل صاحب حصن زياد مع اقاله ونسائه الى ساحل البحر . فاقام هناك نحو ثلاث سنات حتى اهلكه السلطان خفيةً وغرز القلعة والمدينة وعمرها . ووجه جيشاً الى سيباط افسد ضاحيها وتعذر عليه احتلالها بسبب الشتاء . فتركها وسار الى انطاكية بساحل البحر ليشتي فيها كما دته . ولما اقبل الصيف حشد الجود من امم مختلفة بلغ عددهم مائة الف فارس وهيئهم ليحرقوا الى آمد . واذا ذلك بلغه ان الكامل مضطرب لان ابنه الذي تولى اليمن مرتق من طاعته . ولذا اغمض السلطان عن الزحف الى آمد ولا سيما لانها حصينة جداً لا يتيسر فتحها في زمن قليل .

وفي حزيران ١٥٤٦ لليونان (١٢٣٥ م) ربه السلطان جنوده الى الرها وملكها غرة وكان الرهاويون يقاوتون قتالاً شديداً من الاسوار . ثم سار بعضهم الى سورك واحتارها ووصلوا الى الرقة كذلك واحتارها واتلفوها ونهبوها نهباً ذريعاً . وخاف الحرانيون وحملوا اليه الفاتح وهو في ملطية فرضي عنهم ورددهم الى بلدتهم مكرمين . اما الرهاويون فعاندوه بشدة وسخروا به فسخط عليهم ووثب اليهم بذاته وافرغ جنوده كل قواهم واتلوا المدينة بما فتحوا من الثغور وبالسلام التي اقاموها على الاسوار حتى دخلوها وسبوا ونهبوا دور الزعماء وتزعوا ثياب الرجال والنساء . ونهبوا حلق الكنائس الشهيرة وآنية القدس وأجلوا الفتيان والفتيات واخرحروهم خارج المدينة وأطلقوهم على الزبل ما بين الحيام

منفجهم سموم تموز بجورها (٤٦٩) رساقوا القراء والمخارين وعددهم الفان عراة الى بلاد الروم الداخلية . وعثروا في القلعة على كمية وافرة من الذهب والفضة والسروج والابلجة وعُدَد الحرب مما تركه الكامل وهو عائد من ابلتين . وبعد هذا تولى السلطان تحصين المدينة واقام بها محاربين وبنائين وتجارين . وصنع مثل ذلك في حران وعاد الى بلده . اما الكامل فلما سمع بما حدث من الاهوال في الرها ارتحل من مصر في جيش كثيف واقبل اليها . ذلك بعد اربعة اشهر لانتراح السلطان وجنوده عنها . وقوض بشدة برج قلعتها الضخم ورحل على الجمال جميع الزعماء والمخارين والصناع وارسلهم الى مصر .

وفي هذه السنة نقصت القلعة في بلاد الروم وما بين النهرين ونشفت الكروم ويست الاشجار بسبب الشتاء الشديد . فن ثمرين الثاني حتى نصف شباط جمد القرات ولم تطر في الربيع .

وفي السنة ١٥٤٧ لليونان (١٢٣٦ م) وجه السلطان علاء الدين جيرشا وافرة العدد الى آمد وحاصروها اربعة اشهر فامتنت عليهم فتهبوا ضواحيها واخربوها وانقلبوا .

وفي السنة ٦٣٣ للمرب (١٢٣٥) سار الملك الناصر داود بن المعظم بن النادل صاحب الكرك الى زيارة خليفة بغداد ليرفع الشكوى على عمه الكامل والاشرف اللذين اغتصبا منه دمشق . وفي السنة عينها سار كذلك الى بغداد ركن الدين الملك الصالح اسمعيل بن بدر الدين صاحب الموصل ليزور الخليفة . وفي تلك الفصول وصل التتر الى اربيل وعبروا الى بلد نينوى وتزلوا على ساقية قرية كرمليس فانزمو اهلها الى كنيستها فحاصروها التتر وقعد أميران منهم على بابها فالواحد أذن في الخروج للذين خرجوا من بابه . ومن كرمليس سار التتر الى سنجان وانتصروا على قافلة كبيرة من (٤٧٠) التجار المسافرين الى سورية وقتلهم قاطبة .

وفي السنة ١٥٤٨ لليونان (١٢٣٧ م) حشد السلطان علاء الدين كذلك حشداً غفيراً من معدتين وخرارزميين وموثنين ويونان وفرنج وارمن وكرج وأعدتهم ليزحفوا الى آمد . وكان يومئذ عيد العرب فصنع ولية فاختة لجميع الاقطاب وفيما كانوا يأكلون ويشربون وينتمنون باشكال الاغاني والسلطان

مستور على عرش عالٍ مبتهجا بروزيهم متطرفا شعر بألم في احشائه وخرج الى
المرحاض وجرى منه دم غزير وقضى ليلته ونهاره متقلبا في اشد الاوجاع حتى
واقاه الاجل يوم الاثنين اول حزيران ١٥٤٨ للبرنان (١٢٣٧ م) واول شوال
١٣٤٤ للعرب .

ومات في هذه السنة كذلك الملك العزيز صاحب حلب وخلفه ابنه الملك
الناصر صلاح الدين وقد قتله التتر في ايامنا . وفيها كذلك مات المحسن بن
صلاح الدين الاكبر في حلب .

وفي شوال تلك السنة زحف التتر الى اربيل تاتية وحطوا عند نهر الزاب
الاسفل فانهمز الاربيليون عراة الى القلعة واحتل التتر البيوت واخذوا غنائم
وافرة واحرقوا اغلب الدور . وحاصروا القلعة نحو اربعين يوماً فدفع لهم اصحابها
مالاً جزيلاً قبضوه وانقلبوا عائدين .

وكان السلطان علاء الدين كيقباد السابق الذكر ممتازاً ما بين ملوك
زمانه بمنظوره المخيف وذكائه المفرط وشخصه النقي المتزه عن كل الاهواء .
الوديعة خلافاً لملوك العرب المعتادين الانهاس فيها . وكان المجرمون يهابونه جداً
اذ كان صارماً في احكامه . وقد اخضع لسلطانه مدناً واصقاعاً عديدة . وساعة
وفاته عند نصف النهار اجمع ارباب الدولة على الخطة لابنه غياث الدين
كيسرو (١٢٧١) وادخاوه الى مدينة قيارية وحالفوه وأجلسوه على عرش
ايه ونادوا به سلطاناً وابتهج الاهالي جميعاً به . فامر باطلاق جميع الاسرى
المسجونين في بلاده . وأطلق كذلك الاسرى في مجر بيوت من استأسرهم .
وأحفي عددهم فكان اثني عشر ألفاً ممن نجوا من الضيق .

واراد السلطان الجديد ان يقبض على زعما الخوارزميين خيفة ان يتمرردوا
عليه فقبض على غاير خان احداهم وانهمز بقتيهم وجعلوا يعيشون في كل بلد
حتى وصلوا الى ملطية وأوتقوا سيف السدونة السوياشي وعبروا الفرات راجلين
عند حصن مسارة . وعند بلوغهم الى حدود حصن زياد بجانب بلدة كيرباج
لاقاهم عساكر تلك الاطراف وانكسروا تجاهه وقتل بيراميذ صاحب حصن
زياد . واغاروا على بلد سيباط وغزوه ثم انحدروا الى بلد سوربك وحاميتا
واستقروا هناك نحو ثلاث سنوات يغزون الضواحي . ثم ساروا وادوا الطاعة

لصاحب حلب الملك الناصر وهو فتى . فاعدهم الزها وحران وسائر مدن ما بين النهرين واستراحت الارض منهم .

أما السلطان غياث الدين الجديد فقد طلب ابنة ملكة الكرج وتزوجها وأحبها حباً مفرطاً وأصبح على مثال الصبيان منهكاً في الشرب والاكل ومداعبة الطيور والحيوانات . وترك سياسة المملكة في ايدي عبيده فصار كل منهم يعمل ما شاء . وكانت الملكة الكرجية نصرانية وقد حضر معها يوم عرسها الجائليق والاساقفة والكهنة والاكليروس واخوها داود الصغير صاحب الكرج الداخلي . غير انها جعلت بعد قليل ايمانها وأسلمت . وقبض على داود اخيا وعلى الجائليق وسجنا في احدى القلاع وظللاً (١٢٢٢) هناك حتى اقبل التتر وفتحوا تلك القلعة واطلقوه .

وفي بدء السنة ٦٣٥ للعرب (١٢٣٧ م) مات الملك الاشرف عيسى بن العادل بن ايوب في دمشق بالفا السنين . وكان جواداً كريماً مقبلاً على التشبع بالدنيا ولذاتها يزجي اوقاته برفاهية من العيش .

وفي السنة ١٥٢٩ لليونان (١٢٣٨ م) زحف التتر تكررأ الى اربيل وغزوا واخربوا . ووصلوا الى حدود بنداى الى موضع يسمى زنكاباذ وغزوه . ووصل بعضهم الى سرمن رأى وفتحوا باعاليها . فخرج اليهم مجاهد الدين الدويدار وشرف الدين اقبال السراييني في عساكرهما . فبارزا التتر وهزماهم وخافا من عودتهم فنصبا المنجنيقات على اسوار بنداى .

وفي تلك السنة هرب الملك الفاتر يعقوب من وجه اخيه الملك الكامل صاحب مصر الى بنداى وأراد ان يقيم في خدمة الخليفة . وما عم ان مات الملك المذكور ودفن في دمشق وكان رجلاً داهية ميباً وبلغ السبعين من سنه وخلفه ابنه الملك العادل باسم جده واقام في مصر . أما الملك الصالح اخر الكامل فملك سورية وقوي امره بالحوارزميين واطاف الحايور الى بلادهم . وكان الملك الناصر داود ابن اخيه صاحب الكرك سابقاً يحاول احتلال تلك البلاد واكن الدهر عانده . وكان عالماً بارعاً بالعلوم الفلسفية . وحكي انه قد شمس الدين كروشاى الفيلسوف في دمشق وكان كلماً ذهب ليدرس عليه انحدر من حصانه على مسافة بعيدة وترك هناك عبيده وحمل كتابه تحت

إبطه ودخل مدرسة الفيلسوف يظالم ويتعلم ولم يدع معلمه ان يتخفى له .
وفي تلك السنة وثب الاسمييون الى بدر الدين صاحب الموصل ولكنه
لم يصب بضرر . (١٧٣) وفي ذي القعدة من تلك السنة انقلب الثرثانية الى
حدود بندا ووصلوا الى خانقين فخرج اليهم الجيش البغدادي وبارزهم فانكسر
ولم يفلت منه الا ثلاثة من الكبار وهلك البقية بدم السيف . واحتوى التتر
على غنيمة وافرة وانطلقوا .

وفي السنة ١٥٥٠ لليونان (١٢٣٩ م) وهي السنة ٦٣٦ للعرب فاض نهر
بغداد واخر دوراً كثيرة واغرق سفينتين هلك فيها زهاء خمسين نسمة . ولم
يحدث في السنة التالية شي . يستحق الذكر في البلاد المجاورة لنا .

وفي خزيان ١٥٥١ لليونان (١٣٤٠ م) زحف التتر وغزوا من بلاد الكرج
حتى حدود ارضروم . واحتشد جنود بلاد الروم وزحفوا الى ارمينية ليصدوا
التتر عن التوغل في بلادهم . فسرع هولاء وتركوا وانقلبوا الى بلاد ستوتية .
وظل جنود بلاد الروم هناك حتى الشتاء ثم عادوا الى بلادهم .

وفي تلك السنة وجه المسلمون من بلاد الروم التاج بلقادي سركب الدرياق
بثابة سفير الى بغداد ومات هناك في السن الثمانين .

وفي حريف السنة ١٥٥٢ لليونان (١٢٤١ م) وهي السنة ٦٣٨ للعرب ظهرت
بدعة مناقضة لدين العرب . ذلك ان رجلاً تركانياً شيخاً ناسكاً يقال له
بابا ظهر ببلد اماسيا ادعى النبوة وزعم انه هو رسول الله حقاً . وان محمداً
كان كذاباً لا رسولا . وتبعه جمهور غفير من التركان استغواهم بما كان يظهره
هم من الحيل والمخارق . ووجه الشيخ اسحق تلميذه الى بلد حصن منصور
وهو آخر حدود بلاد الروم ليدعو التركان الى المصير اليه . وقد استبال الكثيرين
الى محبة معلمه . واعده له عدداً حربية وانضم اليه جميع الفلاحين التركان وابعوا
حميرهم وثيرانهم واعنابهم واشتروا خيلاً وركبوا (١٢٤١) ٥٠٠ وغزوا بلد حصن
منصور وجرى واكثرتين وفتكوا بكل من لم يقربان بابا هو رسول الله ونبي .
على ان زعم ملاطية حشد خمسمائة فارس واخذ لتجدته خمسين رجلاً من
المحكين بضرب السهام من دير مار برصوما وزحف اليهم فانكسر ولم يفلت
من اصحابه الا القليلون . فتقوى التركان جداً وتبعتهم جمادير غفيرة وزحفوا

في بلستين وتمسك بها جيشهم . في سنة ١٠٠٠ هـ رحلت بشدة في اماسيا ليزوروا
 لشيخ بابا زعيمهم . غير ان رعاء بلاد الروم كثروا لذلك الشيخ وقبضوا عليه
 وخنقوه . ولما وصل اسحق تلميذه في اصحابه ولم يجدوه اذاعوا بانه صعد الى
 السماء ليأتي بلائكة لتجذته وجماوا يحاصرون اماسيا حصارا شديدا . فاحتشد
 نحو ستين الف فارس من اصحاب السلطان غياث الدين ولكنهم لم يجسروا
 ان ينازلوا التركان وعمهم ستة آلاف لا غير حتى اقبل الف فارس من الفرنج
 كانوا لدى السلطان وتشددوا وصرخوا باسمائهم وضجوا اشارة الصليب على
 وجوههم ووثبوا الى اولئك الطغاة وشسّوهم . وبعد هذا انضم اليهم العرب
 واحاطوا بالتركان احاطة الهائلة وقتلهم طرا بجد السيف ولم يتركوا منهم رجلا
 ولا امرأة ولا ولدا ولا حيرانا حيا . وهكذا قضى على تلك البدعة .

وفي هذه السنة احتشد عساكر بلاد الروم واقاموا زعيما لهم اسمه سينان
 سوباشي صاحب حصن زياد الذي خلف بيراميز المقتول وزحفوا الى آمد
 وحاصروها وكان صاحبها ابن الكامل صاحب مصر واتفقوا سرا مع الحراس
 ووعدوهم بالجزيل فسسروهم البلد . وكان معهم بعض الحلبيين وافوا لتجديتهم
 (٤٧٥) . وبعد ما احتاروا آمد ساروا الى ميافرقين ليجتأوا كذلك . لكن
 الملك غازي اخا الكامل استنجد بالحوارزميين الذين في ما بين النهرين وأغار
 على أعدائه وانقض الحلبيون عن مبارزته اكرمه انا مولاتهم ام الملك الظاهر
 والد الملك الناصر صاحب حلب .

وبعد ما احتل سينان آمد وردده الامر من السلطان يزحف الى
 لاضرورم ويقم بها ويحميها من قوة التتر . ولما وصل اليها اقبل جرماغون نون
 في جيش جرار من التتر وملك تلك المدينة الحصينة في ابام وجيزة وقتل رجالها
 ونساءها وابنى على فتياها وقتلها واتخذهم عبيدا . وقتل كذلك سينان
 وابنه الشاب وتركها قاعا صفصفا وارتمل .

وفي القابل اعني السنة ١٥٥٣ لله لليونان (١٢٤٢ م) وصل التتر الى حصن زياد
 ونهبوا كل ما وجدوا وانقلبوا الى بلاد العجم .

وفي السنة ١٥٥٤ لله لليونان (١٢٤٣ م) حشد السلطان غياث الدين جيوشا
 كثيفة واتخذ فرسانا من حلب وبن اليونان والفرنج والمدنيين ودفن لهم ذبا .

ووعده صاحب حصص وملك غازي صاحب ميافرتين بالمساعدة ولكنها لم يبرأ
 بوعدهما. وجاء اليه البارون قسطنطين ابو هيتوم ملك الارمن الى قيسارية فرحب
 به واجزل له الطاء. ووعده قسطنطين بان يحشد جيش الارمن وياتي الى نجدته.
 ثم ارتحل السلطان نحو سبطية وزحف التتر الى ضواحي ارزنجان. فسارع
 السلطان والتقى الجيشان بموضع يسمى كوساذاغ اعني الجبل الامرد. غير ان
 جيش السلطان عاد القهقري منذ المعركة الاولى ولم يتمكن من الوقوف تجاه
 التتر فانهمز وترك سلطانه وحده. فبيت السلطان (٤٧٦) واخذ امراته وابنائاه
 وسار الى انقره وتمحصن بها. ولما رأى التتر ان العدو قد انهزم دون قتال
 وترك خيامه على ما هي واختفى ظنوا ذلك مكيدةً وانه قد حاد عنهم
 ليكن لهم فاقاموا يوماً وبعثوا الجواسيس واستتبوا الحقيقة ثم تشبوا ودخلوا
 تلك الخيام. وابتزوا كل ما بها. وانتشروا في بلاد الروم ووصلوا الى سبطية
 فسلم اصحابها ودفعوا ذهباً رافراً وانقدوا نفوسهم من القتل وابنائاهم وبناتهم
 من اليهودية. ودخل التتر المدينة وافرغوا الخزائن الملكية واحتوا على كل
 ما طاب لهم واحرقوا آلات الحرب وهدموا من الاسوار نحو اربع اذرع على
 مدارها.

وانتهى زعيم آخر تترى الى قيسارية وأبى اهلها تسليمها فاجتمعوا قاطبةً
 وثقبوا سورها بالمخبيقات ودخلوها وافرغوا الخزائن الملكية واحرقوا الدور
 الفخمة ونكّلوا بالرعاة. والاحرار وجعلوا يطعنونهم بالسيوف حتى انتزعوا كل
 ما لهم. ثم قتلوا ربوات كثيرة واستاقوا الصبيان والصبايا سبياً. امّا ام السلطان
 فلما سمعت خبر النكبة اخذت ابنتها اخت السلطان وبعيدها وجوارياها وكنوزها
 وسارت الى قيليقية ولاذت بالبارون قسطنطين ابي الملك هيتوم الذي وعد
 السلطان بالنجدة واستخف به منتظراً النتيجة. وما ان عرف التتر بانيزام
 الملكة اليه حتى ارسلوا سفيراً الى بالي ابي البارون يطالبونها وذكر بعضهم ان
 بالي عينه تزلّفاً الى التتر اخبرهم بان الملكة عنده وهو مستعد لسلامها لهم.
 فلما وصل السفير سألها اليه. وقد استغظع الملوك والحاسة والعامة هذا العمل
 المنكر وأبدوا استياءهم من الارمن. هكذا استاق التتر تلك الملكة وما
 برحت مقيمة عندهم حتى اليوم (٤٧٧) مستعبدة.

وفي تلك الغزوات زحف تركمان ابلستين الى ديرنا المييد المعروف بدير
البارد وقتكوا نجمة عشر راهباً اطلبهم من جهاندة العلاء والشامسة والنشاك .
ولما عرل اولئك الملاعين على الهزيمة باغتتهم التتر وقتكوا بهم قاطبة . هكذا
انتقم منهم العدل بعد ثلاثة ايام ورجع كيدهم بنحرمهم .

ولما سمع اهل ملطية بانكسار السلطان قصد السويشي وشيد الدين في
بعض اهل البلاط ليلاً الحُرانة الملكية واقسموا ما بينهم كل ما راوه من
ذهب وفضة وفتحوا الابواب وفرّوا الى حلب . وانهمز مثلهم زعماء المدينة
المشاهير ولا سيما المسيحيون الذين امكنهم الهرب . ويوصلهم الى جبل الجوز
على سافة يوم من المدينة ادركهم فريق من التتر وقضى على اطلبهم واستاقوا
البنين والبنات وأفقت القليلون وعادوا الى المدينة عراة حفاة . أما سائر
الاهالي من بزازين وحيآك وغيرهم فلما شاهدوا الامائل والزعماء قد تركوا
المدينة وانهمزوا اجتمع العرب والمسيحيون بمطرانها السيد ديونيسيوس عنجور الذي
صار فيما بعد بطريركاً (١٢٥٢-١٢٦١) والتسروا منه ان يبذل الجهد في حراستها
لانه كان متيقناً حريصاً . وتحالف العرب والنصارى وجعلوا يطوفون طول
الليل على الاسوار بالتاوية ويجلسون مدة النهار على باب المدينة . ولم يكونوا
يفتحون الا باب الرئيس او باب البلاط . واستقامت المدينة في وجل وخوف
زهاء شهرين حتى انكشف التتر ولم يتعرضوا بجولته تعالى الا للذين خرجوا
منها منهزمين الى باب الجوز .

وانقلب التتر الى ارزنجان وطلبوا الاموال من زعمائها فلم (٤٧٨) يذعنوا
لهم فسخطوا واقاموا عليها المنجنيقات وقوضوا بعض اسرارها ودخلوا فنيبها
وقتلوا اهاليها واخربوها تماماً . اما السلطان غياث الدين فقد وجه اليهم الوفود
وطلب الامان فالحوه على مال وخيل ومواش وعبيد . وفي تلك السنة وهي
السنة ٦٤٠ للعرب (١٢٤٢ م) مات الخليفة المستنصر .

بعد المستنصر المستعصم ابنه

تولى ست عشرة سنة . وكان عقاه عقل الصبيان لا يميز الخير من الشر .
اسرف زمانه بلعب الحمام والالبا . بالنظير . وكان اذا قيل له ان التتر

متأهبون ليكبسوا بغداد كبسهم لسائر المدن الشيرة في العجم يقول لهم :
ان بغداد هي تحتنا ولن يدخلوها ما لم نأذن لهم . وهكذا ازال الله تعالى
الدولة العباسية في عهده .

وفي السنة ١٥٥٥ لليونان (١٢٤٤م) أقبل يساور احد زعماء التتر في الصيف
الى ميافرقين وماردين وازها وعبير الفرات الى جيلان بجوار حلب ولم يدخلها
لان حوافر خيل عسكره تعطلت بسبب بيوسة الارض والحار وبعدهما غزا تلك
البلاد أرسل الى صاحب حلب يطلب مالاً فارسل اليه كل ما طلب . ورجع
من هناك وزحف الى ملطية وأقن الفلال والكروم والنحل . وقتك بكل من
لقيه في طريقه . وارسل يتهدد رشيد الدين والي المدينة وكان قد رجع من
حلب فجمع كمية وافرة من الدراهم والدنانير والحلي واواني الذهب والفضة
ما قدره اربعون الف دينار ذهباً . وابتدأ كذلك آية القدس من كوزس
واطباقر ومباخر وقناديل وصناديق قديسين اخرجها من (١٢٧٩) خزانة الكنيسة
الكبرى وبعث بها اليه فاحتوى على ذلك كله وانقلب الى فارس .

وبعد ذهاب التتر حدث في ملطية وضواحيها غلا . ووباء . وكثر الفقراء وماتوا
موت الحيوانات في الشوارع . وعرض الكثيرون ابنائهم وبناتهم للبيع فلم
يشترهم احد .

واشتهر عسرنند في ملطية عيسى الطيب الزهاوي تلميذ الطيب حسنون
وانتقل الى قيليقية وخدم ملكها وشاد في سيس كنيسة بديعة باسم مار برصوما .
وفي السنة ١٥٥٦ لليونان (١٢٤٥ م) زحف التتر الى بغداد فقاومهم الشعب
كله ورددتهم فارغين . وثار في السنة عينها السلطان غياث الدين فارسل جيوشاً
كثيفة ليخربوا قيليقية انتقاماً من صاحبها الذي سلم أمه واخته الى التتر . فرحفوا
الى طرسوس وحاصروها حصاراً شديداً وكان فيها يوم ذاك بالي ابو الملك هيتوم
والقنطاطيل ابنه الكبير . فقاوموا تلك الجيوش بشدة يساعدهم كثير من
الفرنج الذين عندهم . وهطلت عليهم امطار غزيرة فتضايقوا جداً وتعذر عليهم
الانتقال الى مكان آخر وانقطع عن خيلهم العلف بسبب ما حدث هناك من
الايوال التي كادت تبتلع الحيل وركابها مآ . وفيما كانوا متقابين في ذلك
الضم ورددتهم نبأ موت السلطان فانفرج عنهم وتركوا البلد وانصرفوا قبل

وصول الحبر الى الارمن . وكانت وفاة الشيطان في الحريف بد. السنة ١٥٥٧ لليونان (١٢١٦ م) وخلف ثلاثة بنين صغار وهم : عز الدين وركن الدين وعلا. الدين . وبابغ الاقطاب عز الدين كبيرهم وسنوه (٤٨٠) اللذان كيكاموس . واقبل اذ ذاك سفرا. المغول يسألونه ليسيروا لزيارة الخان فتعلم محتجاً بجوفه من اليونان والارمن لئلا يحتلوا بلده في غيابه. وانتهى ذلك برسالة اخاه ركن الدين بدلاً منه ووعدهم بالذهاب اليه في فرصة اخرى .

خلافة كيوك خان لاييه الخان

ومرض آتشد الخان وادسل الوفود في طلب ابنه كيوك ليخلفه في المملكة بعد وفاته . ولما ازمع القوم وكاد يصل مات الخان ولم يشاهده . وكانت توركيينا الملكة امراته والدة كيوك ذات دهاء. حكيمة فاتقت جفاتي وبقي اولاد الملوك على ان تتصرف في تدبير المملكة ريثما يجتمعون كافة ويتشاورون. فارسلوا الوفود وطلبهم فاجتمعوا في ايام الربيع . اذ اقبل من المشرق كوتان وارتيكين اخو جنكرخان والشاتي . وجا. من المغرب قراموري وبايدار وتوركان ابنا. جفاتي . وجا. من الشمال اربعة اخوة باقو ولم يحضر هر. وجا. من الايفوريين الامير مسعود بك ومن خراسان الامير ادغون . ومن بلاد الروم السلطان ركن الدين . ومن قيليقية الملك هيتوم . ومن الكرج داود الكبير وداود الصغير . ومن سورية اخو صاحب حلب . ومن بغداد فخر الدين قاضي القضاة . ووفود من الفرنج ومن علا.الدين صاحب الاموت اعني امام الايميليين حاملي السكاكين .

وكان للخان ثلاثة ابنا. يراققون للملكة وهم كيوك وكوتان وسيرامون وهو قتي صغير . وكانت امهم توركيينا تريد كيوك فوافقا اولاد الملوك كافة. ولما اخذ كيوك كالأولف العادة (٤٨١) يستغني ويقول : ان فلاناً وفلاناً أولى مني اخذوه قسراً واجلسوه على سرير الملكة وجثرا تسع مرات على ركبهم منجنين واخذوا كاساً وشربوه : ولما استقر له الملك جعل يتصرف حسناً لانه كان حكيماً نجياً .